الإرشادات
في
تقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات

تأليف

أبي معاذ

طارق بن عوض الله بن محمد

الناشر

مكتبة ابن تيمية

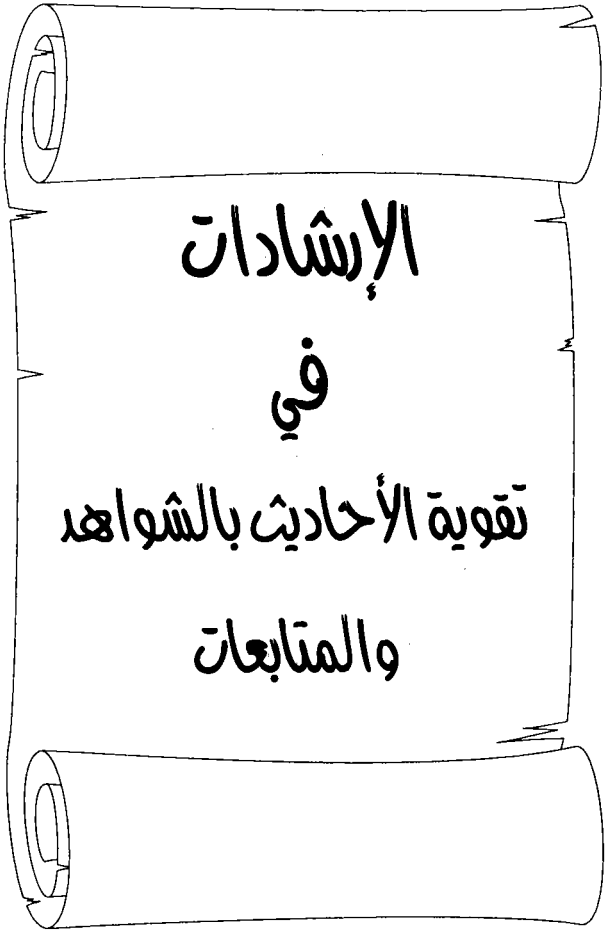
الإرشادات
في
تقوية الأحاديث بالشواهد
والمتابعات

الطبعـــة الأولى

١٤١٧هـ-١٩٩٨م

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

مكتبة

ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

[هود: ٨٨]

«الدِّينُ النَّصِيحَةُ؛ للَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ».

أخرجه مسلم

حَقٌّ عَلى المُحَدِّث ؛ أَنْ يَتَورَّعَ في مَا يُؤدِّيه ، وَأَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ المَعْرِفَةِ وَالوَرَعِ لِيُعِينُوهُ عَلى إِيضَاحِ مَرْوِيَّاته .

ولا سَبِيلَ إلى أَنْ يَصِيرَ العَارِفُ ، الَّذي يُزَكِّي نَقَلَةَ الأَخْبَارِ وَيُجَرِّحُهُمْ = جِهْبِذًا ؛ إلا بِإِدْمَانِ الطَّلَبِ ، وَ الفَحْصِ عَنْ هَذَا الشَّأْن، وكَثْرَةِ المُذَاكَرَة ، وَ السَّهَرِ ، وَ التَّيَقُّظ ، وَالْفَهْمِ ، مَعَ التَّقْوَى وَالدِّينِ المَتِينِ، وَالإِنْصَافِ، وَالتَّرَدُّدِ إلى مَجَالِسِ العُلَمَاءِ، وَالتَّحَرِّي، وَالإِتْقَانِ؛ وَ إلا تَفْعَلْ ؛

فَدَعْ عَنْكَ الكِتَابَةَ ؛ لَسْتَ مِنْها ولَوْ سَوَّدْتَ وَجْهَكَ بِالمِدَادِ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ .

فَإِنْ آنستَ - يَا هَذَا - مِنْ نَفْسِكَ فَهْمًا ، وَصِدْقًا ، وَدِينًا ، وَوَرَعًا ؛ وإلا فَلا تَتَعَنَّ .

وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْكَ الهَوَى وَالعَصَبِيَّةُ لِرَأْيٍ وَلِمَذْهَبٍ ؛ فَبِاللهِ لا تَتْعَبْ .

وَإِنْ عَرَفْتَ ، أَنَّكَ مُخَلِّطٌ ، مُخَبِّطٌ ، مُهْمِلٌ لحدُود الله ، فَأَرِحْنَا مِنْكَ؛ فَبَعْدَ قَلِيلٍ يَنْكَشِفُ البَهْرَجُ ، وَيَنْكَبُّ الزَّغَلُ ، وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إلا بِأَهْلِه .

فَقَدْ نَصَحْتُكَ ؛ فَعِلْمُ الحَدِيث صَلَفٌ ، فَأَيْنَ عِلْمُ الحَدِيث ؟! وأَيْنَ أَهْلُهُ ؟! كِدْتُ أَنْ لا أَرَاهُمْ إِلا فِي كِتَابٍ ، أَوْ تَحْتَ تُرَابٍ .

الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ

« تذكرة الحفاظ » (١/ ٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله تعالى نَحْمدُهُ ، ونَسْتعينُهُ ونَسْتغفرُهُ ، ونَعُوذُ بالله تعالى من شُرورِ أَنْفُسنَا ومن سَيئاتِ أَعْمَالنَا ، مَنْ يهده اللهُ فَلا مَضلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَاديَ لَهُ ، وأَشْهدُ أَنْ لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ ، وأَشْهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ، ٧١] .

أمَّا بَعْدُ :

فإنَّ خَيْرَ الكَلامِ كَلامُ الله تعالى ، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمد ﷺ ، وشَرَّ الأُمورِ مُحْدثاتُها ، وكلَّ مُحْدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ .

اللَّهمَّ صلِّ عَلى مُحَمدٍ ، وعَلى أَهْلِ بَيْتِه ، وعَلى أَزْواجِه وذُرِّيته ، كما صلَّيْتَ عَلى آلِ إبْراهِيمَ ، إنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ ، وبَارِكْ عَلى مُحَمدٍ ،

وعَلى آلِ مُحَمد ، وعَلى أَزْوَاجِهِ وذُرِّيتِهِ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلى آلِ إبْراهِيمَ ، إنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ .

لمَّا كانَ عِلْمُ الحديثِ يعتمدُ على مَعْرِفةِ أحوالِ الرُّواةِ تَعْديلاً وتَجْريحًا، وأَحْوالِ الرِّواياتِ تَصْحيحًا وتَعْليلاً ، وكانَ السَّبيلَ إلى إدراكِ ذلكَ ، اعتبارُ الرِّواياتِ ، وعَرْضُ بَعْضِهَا ببعضٍ ، لِيظْهَرَ ما فِيها مَن اتِّفاقٍ، أو اختلافٍ أو تفرُّدٍ ؛ لِيُعَامَلَ كلٌّ بحسبِهِ .

ولمَّا كانَ ذلكَ لا يتحقَّقُ إلا بكثرةِ البَحْثِ والتَّفتيشِ عَن الأسانيدِ والرِّواياتِ ، في بُطُونِ الكُتُبِ ، وصُدورِ الرِّجالِ ، كانَ للاعتبارِ عندَ المحدثينَ أهميَّتُهُ البَالغةُ ، وضَرورتُهُ القُصْوى .

فبالاعتبارِ ؛ يُعرفُ الصَّحيحُ من الضَّعيفِ من الرِّواياتِ ؛ وذلكَ بالنَّظرِ في الطُّرُقِ التي اعتُبِرَتْ وسُبِرَتْ ، وعَرْضِهَا على بَاقي الطُّرُقِ والرِّواياتِ في بَابِهَا ، فَيظْهَرَ الاتِّفَاقُ ، والذي هو مظنَّةُ الحِفْظِ ، والاخْتِلافُ أو التَّفَرُّدُ ، واللَّذانِ هُمَا مَظِنَّتَا الخَطَإِ .

ثم تَدُورُ هَذه الأَحَاديثُ في إطارِ قَواعدَ وضَوابط ، تُحُوطُهَا مِنْ كُلِّ جَانبٍ ، وتُعَالجُهَا مِن كُلِّ جِهَةٍ ، ومِنْ خِلالِهَا يَظْهَرُ الصَّحيحُ مِنْ الضَّعيفِ، والمَحْفُوظُ مِنْ غَيْرِهِ .

وبالاعتبارِ ؛ يتبيَّنُ حَالُ رُواةِ الحديثِ من حيثُ التَّوثيقُ والتَّجريحُ ؛ فَمَنْ عُهِدَ عَلَيْهِ الإِصَابَةُ ، وكَثْرَةُ المُوافَقَةِ للثِّقات ، كانَ ثِقَةً مِثْلَهُمْ ، وَمَنْ عُهِدَ عَلَيْهِ الخَطَأُ ، وكَثْرَةُ المُخَالَفَةِ للثِّقات ، أو التَّفرُّدِ والإغرابِ ورِوَايَةِ ما لا يَعْرِفُونَ ، كَانَ ضَعِيفًا في حِفْظِهِ ، وبِقَدْرِ المُوافَقَةِ والمُخَالَفَةِ بِقدْرِ مَا

يُعْرَفُ حِفْظُهُ وَضَبْطُهُ .

***

ولمَّا كَانَ الاعتبارُ عِنْدَ المحدِّثينَ بَهذا الشَّأْن العَظِيمِ ، بَذَلوا مَنْ أَجْلِهِ كلَّ نَفْسٍ ونَفِيسٍ ، وطَافُوا البُلدانَ ، وسَمِعُوا من أهلِ الأمصارِ ، رغبةً في تمييزِ الأحاديثِ ، والوقوفِ على الصَّحيحِ منها و السَّقيمِ ، ومَعْرفةِ ما أصابَ فيه الرُّواةُ وما أَخْطئوا فيهِ .

فَهَذَا ؛ إمامٌ واحدٌ ، منْ أجلِ اعتبارِ حديثٍ واحدٍ ، طَافَ بلدانًا شتَّى، ودخلَ مدائنَ عدَّةً حتى وقفَ على علَّتِهِ ؛ وهو الإمامُ شعبةُ بن الحجاجِ ، عليهِ رحمةُ اللهِ تعالى :

قالَ نَصْر بنُ حمَّادٍ الورَّاقُ [1] :

كُنَّا قُعودًا على بابِ شعبةَ ؛ نَتَذاكرُ .

فقلتُ : حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن عبدِ الله بن عَطَاء، عن عقبةَ بن عامرٍ ، قالَ : كنَّا نَتَناوَبُ رعيَّةَ الإبلِ عَلى عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فجئتُ ذاتَ يومٍ والنبيُّ ﷺ حولَهُ أصحابُهُ ؛ فسمعتهُ يقولُ :

«مَنْ تَوضَّأَ ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَاسْتَغْفَرَ اللهَ ؛ إلا غَفَرَ لَهُ» .

---

(١) رواه : ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٩) ، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٤٨-٤٩) والخطيب في «الرحلة» (٥٩) وكذا في «الكفاية» (ص٥٦٦-٥٦٧) والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» (ص٢٠٧ -٢٠٨) .

فقلتُ : بَخٍ بَخٍ !

فَجذَبني رجلٌ من خَلْفي ، فالتفتُّ ؛ فإذَا عمرُ بن الخطابِ ، فقالَ : الذي قبلُ أحسنُ ! فقلتُ : ومَا قبلُ ؟!

قالَ : قالَ : «**مَنْ شَهدَ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ؛ قِيلَ لَهُ : ادْخُلْ مَنْ أيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتَ**» .

قالَ : فخرجَ شعبةُ ؛ فَلَطَمني ، ثُمَّ رَجَعَ فدخلَ ، فتنحَّيْتُ من ناحِيَةٍ .

قالَ . ثُمَّ خَرجَ ؛ فقالَ : ما له يَبْكي بعدُ ؟!

فَقَال له عبدُ الله بنُ إِدْرِيسَ : إنَّكَ أَسأْتَ إليه !

فقالَ شعبةُ : انظرْ ؛ ماذَا تحدِّثُ !! إنَّ أبا إسحاقَ حدَّثني بهذَا الحديثِ ، عن عبدِ الله بنِ عَطَاء ، عن عقبةَ بن عامرٍ . قالَ : فَقُلْنَا لأبي إسحاقَ : مَنْ عبدُ الله بنُ عَطَاء ؟ قالَ : فَغَضِبَ ، ومِسْعرُ بنُ كِدَامٍ حاضرٌ، قالَ : فقلتُ لَهُ . لَتُصَحِّحَنَّ لي هَذا ، أو لأُحَرِّقَنَّ ما كتبتُ عنكَ ! فقالَ مِسْعرٌ : عبدُ اللهِ بنُ عَطَاء بمكةَ .

قالَ شعبةُ : فرحلتُ إلى مكةَ ، لم أُرِدِ الحجَّ ، أردتُ الحديثَ ، فلقيتُ عبدَ اللهِ بنَ عَطَاء ، فسألتُهُ ، فقالَ : سَعْدُ بنُ إبراهيمَ حدَّثني . فقالَ لي مالكُ بنُ أنسٍ : سعدٌ بالمدينةِ ، لم يحجَّ العامَ .

قالَ شعبةُ : فرحلتُ إلى المدينة ، فلقيتُ سعدَ بنَ إبراهيمَ ، فسألتُهُ ، فقالَ : الحديثُ من عِنْدِكُمْ ؛ زيادُ بنُ مِخْرَاقٍ حدَّثني .

قالَ شعبةُ : فلمَّا ذكرَ زيادًا ، قلتُ : أيُّ شيءٍ هَذا الحديثُ ؟! بَيْنما

هو كوفيٌّ ، إذْ صَارَ مدنيًّا ، إذْ صَارَ بَصْرِيًّا !!

قالَ : فرحلتُ إلى البَصْرةِ ، فلقيتُ زيادَ بنَ مِخْراقٍ ، فسألتُهُ ، فقالَ: ليسَ هو مِنْ بَابَتِكَ !

قلتُ : حدِّثني بِهِ . قالَ : لا تَرُدَّهُ ! قلتُ : حدِّثني بِهِ .

قالَ : حدَّثني شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ ، عن أبي رَيْحانةَ ، عن عقبةَ بنِ عامرٍ، عن النبيِّ ﷺ .

قالَ شعبةُ : فلمَّا ذكرَ شهرَ بنَ حوشبٍ ، قلتُ : دمَّرَ عليَّ هَذا الحديثَ ؛ لو صحَّ لي مثلُ هَذا عن رسولِ اللهِ ﷺ كانَ أحبَّ إليَّ مِنْ أَهْلي ومَالي والنَّاسِ أَجْمعينَ !!

وهَذا إمامٌ آخرُ ، طافَ نحوَ طَوَفَانِ شعبةَ بنِ الحجاجِ ، من أجلِ اعتبارِ حديثٍ واحدٍ أيضًا :

قالَ محمودُ بنُ غَيْلان [1] : سمعتُ المؤملَ ذُكِرَ عِنْدَهُ الحديثُ الذي يُرْوىٰ عن أُبَيٍّ ، عن النبيِّ ﷺ في «فَضْلِ القُرْآنِ» .

فقالَ : لقدْ حدَّثني رجلٌ ثقةٌ - سَمَّاهُ - ، قالَ : حدَّثني رجلٌ ثقةٌ - سَمَّاهُ - ، قالَ :

أَتيتُ المدائنَ ، فلقيتُ الرجلَ الذي يَرْوي هَذا الحديثَ ، فقلتُ لهُ : حدِّثني ؛ فإنِّي أريدُ أنْ آتيَ البَصْرةَ . فقالَ : هَذا الرجلُ الذي سمعناهُ منه هو بواسطٍ في أصحابِ القَصَبِ !

---

(١) «الكفاية» للخطيب (ص٥٦٧-٥٦٨) ، و«شرح الألفية» للعراقي (١/ ٢٧٠-٢٧١) ، وكذا؛ «التقييد والإيضاح» له (ص١٣٤) ، و«النكت» لابن حجر (٢/ ٨٦٢) .

قالَ : فأتيتُ واسطًا ، فلقيتُ الشيخَ ، فقلتُ : إنِّي كنتُ بالمدائنِ ، فدلَّني عليكَ الشيخُ ، وإنِّي أريدُ أنْ آتي البصرةَ . قالَ : إنَّ هَذا الذي سمعتُ منهُ هو بالكَلاءِ [١] !

فأتيتُ البصرةَ ، فلقيتُ الشيخَ بالكَلاءِ ، فقلتُ لهُ : حدِّثني ؛ فإنِّي أريدَ أنْ آتي عَبَّادانَ . فقالَ : إنَّ الشيخَ الذي سمعناهُ منه هو بعبَّادانَ !

فأتيتُ عبَّادانَ ، فلقيتُ الشيخَ ، فقلتُ لهَ : اتَّقِ اللهَ ؛ ما حالُ هَذا الحديثِ ؟!! أتيتُ المدائنَ ، فَقَصَصْتُ عليهِ ، ثُمَّ واسطًا ، ثُمَّ البصرةَ ، فَدُلِلْتُ عليكَ، وما ظَنَنْتُ إلا أنَّ هؤلاء كلَّهم قد ماتُوا ! فأَخْبِرني بقصةِ هذا الحديثِ ؟!

فقالَ : إنَّا اجْتَمَعْنَا هُنَا ، فرأَيْنَا الناسَ قَدْ رَغِبُوا عن القرآنِ ، وزَهِدُوا فيهِ ، وأَخَذُوا في هذه الأحاديثِ ، فَقَعَدْنَا ، فَوَضَعْنَا لهمْ هذهِ الفَضَائلَ حتَّى يَرْغَبُوا فيهِ !!

يقول المعلمي - رحمهُ اللهُ - مُعَلِّقًا على هذهِ القصةِ [٢] :

«لعلَّ هَذا الرَّجُلَ قَطَعَ نحوَ ثلاثةِ أَشْهُرٍ مُسَافرًا لتحقيقِ رِوَايةِ هَذا الحديثِ الواحدِ» .

***

بَلْ ؛ قَد يكونُ الواحدُ منهمْ قَدِ اعتبرَ الروايةَ بالفعلِ ، وعرفَ ما وقعَ فيها مِنَ الخطإِ ، وتحقَّقَ من كَوْنها غيرَ محفوظَةٍ ، فيُرِيدُ أنْ يتبيَّنَ : مَنِ

(١) «الكلاء» : اسم محلَّة مشهورة وسوق بالبصرة .

(١) في «علم الرجال وأهميته» (ص٢٣) بتعليقي .

الرَّاوي المُخْطئ فيها : هَلْ هو فلانٌ ، أم فلانٌ ؟ فيقطعُ مِنْ أجلِ تحقيقِ ذلكَ مفاوزَ ، ويطوفُ بُلْدَانًا ، ويَدْخُل أَمْصَارًا ، ليسمعَ الحديثَ من غيرِ وجهٍ ؛ ليقابلَ الأوجهَ بَعْضَها ببعضٍ ، وَيزِنها بميزانِ الاعتبارِ ، حتَّى يتحققَ من أنَّ المُخْطئ في الروايةِ فلانٌ ، ولَيْس غَيْرهُ .

يقولُ محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ أبي شيخٍ المَلْطيُّ [١] :

جاءَ يحيى بنُ معينٍ إلى عفَّان بنِ مسلمٍ؛ ليسمعَ منه كتبَ حمادِ بنِ سلمةَ.

فقالَ لَهُ : ماسمعتَهَا من أحدٍ ؟

قالَ : نعمْ ؛ حدَّثني سَبْعةَ عَشَرَ نَفْسًا عن حمادِ بنِ سلمةَ .

فقالَ : واللهِ ؛ لا حَدَّثْتُكَ !

فقالَ : إنَّما هَو دِرْهمٌ ، وأنحـدِرُ إلى البصـرةِ ، وأسمع مِنَ التَّبُوذَكيِّ .

فقالَ : شَأنَكَ !

فانحدرَ إلى البصرةِ ، وجاءَ إلى موسى بنِ إسماعيلَ .

فقالَ له موسى : لَمْ تسمعْ هذِهِ الكتبَ عن أَحَدٍ ؟

قالَ :سمعتُها على الوَجْهِ منْ سبعةَ عَشَرَ نَفْسًا ، وأنتَ الثَّامن عَشَرَ .

فقالَ : وماذَا تصنعُ بهذَا ؟!

فقالَ : إنَّ حمادَ بنَ سلمةَ كانَ يُخْطئ ، فأردتُ أن أميِّز خطأهُ من خطإِ

---

(١) «المجروحين» لابن حبان (١/ ٣٢) .

غيرِهِ : فإذَا رأيتُ أصحابَهُ قد اجتمعُوا على شيءٍ ؛ علمتُ أنَّ الخطأَ منْ حمادٍ نفسه . وإذَا اجتمعُوا على شيءٍ عنه ، وقالَ واحدٌ منهم بِخلافِهِمْ ؛ علمتُ أنَّ الخطأَ منهُ لا منْ حمادٍ ؛ فأميِّزُ بَيْنَ مَا أخطأَ هو بنفسِهِ ، وبَيْنَ مَا أُخْطِئَ عليهِ .

***

ولأجلِ هَذا ؛ لم يكونُوا يتعجَّلُون الحكمَ على الحديث ، ولا يتسرَّعُونَ في إطلاقِ الأحكامِ على الأسَانيدِ والرِّواياتِ ، ولا يَغْتَرُّونَ بظواهرِ الأسانيدِ ، بلْ كانوا أحيانًا يمضونَ الأيامَ الكثيرَةَ والأزمنةَ البعيدةَ من أجلِ معرفةِ ما إذَا كانَ الحديثُ محفوظًا ، أم اعتراهُ شيءٌ من الخطإِ والوَهْمِ .

يقولَ الإمامُ الخطيبُ البغداديُّ [1] :

«مِنَ الأحاديثِ ؛ ما تَخْفى علَّتُهُ ، فَلا يُوقَفُ عَلَيْها إلا بعدَ النَّظرِ الشديدِ ، ومُضِيِّ الزَّمنِ البَعِيدِ» .

ثم أسندَ عن الإمامِ عليِّ بنِ المدينيِّ ، أنَّه قالَ :

«رُبَّما أدركتُ عِلَّةَ حديثٍ بَعْدَ أربعينَ سنةً» !

***

ولهذَا ؛ ما كَانُوا يُسَارعونَ إلى ردِّ نَقْدِ النُّقَّادِ ، لمجرَّدِ عَدَمِ علْمِهِمْ بأدلَّتِهِمْ ، إلا بَعْدَ البَحْثِ الشَّديدِ ، واستفْرَاغِ الجَهْدِ في الوقُوفِ على ما عَلَيْهِ اعتمدُوا في نَقْدِهِمْ ، فإذَا سَمِعُوا منهُمْ حُكْمًا مُجْملاً ، عَارِيًا عن

(١) «في الجامع» (٢/ ٢٥٧) .

الدَّليلِ ، بحثُوا عن دَلِيلِه ؛ لعلمِهِمْ ، أنَّ مثْلَ هؤلاءِ النقَّادِ لا يتكلَّمونَ بالمجازَفَةِ أو الحَدَسِ .

روى ابنُ أبي حاتم [١] ، عن ابنِ أبي الثَّلْجِ ، قالَ : كنَّا نَذْكُرُ هَذا الحديثَ - يعني : حديثَ موسى بنِ أَعْيَن ، عن عُبيدِ الله ، عن نافعٍ ، عن ابن عمرَ - مرفوعًا - : «**إنَّ الرَّجُلَ ليكُونُ منْ أَهْلِ الصَّوم ، والصَّلاة والزَّكاة والحجِّ**» ، حتى ذَكَرَ سِهَامَ الخَيْرِ ، «**فَمَا يُجْزى يومَ القيامَة إلا بقَدْرِ عَقْلِه**» -، ليحيى بنِ معينٍ ، سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً ، فيَقُولُ : هُوَ بَاطلٌ ؛ ولايَدْفَعُهُ بِشيءٍ ، حتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا زكريَّا بنُ عديٍّ ، فحدَّثنا بهذا الحديث ، عن عبيدِ اللهِ بن عمرو ، عن إسحاقَ بنِ أبي فروةَ ؛ فأتينَاهُ [٢] ، فأخبرناهُ ، فقالَ : هَذا بابنِ أبي فروةَ أَشْبَهُ مِنْهُ بعبيدِ اللهِ بن عمرٍو» .

***

ولم يكونُوا يكتفونَ بالسماعِ المجرَّدِ ، وإنَّما تعدَّوا ذلكَ ، فاعتنَوْا بجمعِ الأصولِ ، والوقوفِ على الكتبِ الحديثيَّةِ ، فإنَّ الحفظَ يخونُ ، بخلافِ الكتابِ ، فإنَّه أصونُ وأبعدُ عن الخطإِ والوَهْمِ .

ولهذَا ؛ كانُوا يرجعونَ إلى الأصولِ والكتبِ إذَا استنكرُوا ما يحدِّثُ به الرَّاوي من حفظِهِ ، فإنْ وجدُوا له أَصْلاً في كتبِهِ عرفُوا أنَّه صوابٌ ، وإلا فَلا .

---

(١) «العلل» (١٨٧٩) .

(٢) يعني : ابن معين .

وكانُوا - أيضًا - إذَا اختلفُوا فِيمَا بينهمْ في حديثٍ أو أحاديثَ ، رجعُوا إلىٰ الكتبِ ، فتحاكموا إلىٰ ما فِيها .

قالَ عبدُ الله بنُ المباركِ [١] :

«إذا اختلفَ الناسُ في حديثِ شعبةَ ، فكتابُ غندرٍ حكمٌ بينهمْ» .

ورأَىٰ أحمدُ بنُ حنبلٍ [٢] يحيىٰ بنَ معينٍ في زاويةٍ بصنعاءَ ، وهو يكتبُ صحيفة : «معمرٍ ، عن أبانَ ، عن أنسٍ» ، فإذَا اطَّلعَ عليهِ إنسانٌ كتمَهُ .

فقالَ أحمدُ بنُ حنبلٍ لهُ : تكتبُ صحيفةَ : «معمرٍ ، عن أبانَ ، عن أنسٍ» ؛ وتعلمُ أنَّها موضوعةٌ ؟! فَلَوْ قالَ لكَ قائلٌ : أنتَ تَتكلَّمُ في «أبانَ» ، ثُمَّ تكتبُ حديثَهُ علىٰ الوَجْهِ ؟!

قالَ : رحمكَ اللهُ ؛ يا أبا عبدِ اللهِ ! أكتبُ هذهِ الصحيفةَ «عن عبدِ الرَّزاقِ ، عن معمرٍ ، عن أبانَ ، عن أنسٍ» ، وأحفظُهَا كلَّها ، وأعلمُ أنَّها موضوعةٌ ؛ حتَّىٰ لا يجيء إنسانٌ ، فيجعلُ بدلَ : «أبانَ» : «ثابتًا» ، ويرويها : «عن معمرٍ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ» ؛ فأقولُ له : كذبتَ ؛ إنَّما هي : «أبانٌ» ، لا «ثابتٌ» .

وقالَ الحسينُ بنُ الحسنِ المروزيُّ [٣] : سمعتُ عبد الرحمن بنَ

---

(١) «تهذيب الكمال» (٢٥/ ٨) .

(٢) «المجروحين» (١/ ٣١-٣٢) .

(٣) «الجامع» للخطيب (٢/ ٣٩) ، و«شرح علل الحديث» (١/ ٥٣٥) .

مهديٌّ يقولُ :

كنتُ عندَ أبي عَوَانةَ ، فحدَّثَ بحديثٍ عن الأعمشِ ، فقلتُ : ليسَ هَذا من حديثكَ .

قالَ : بلى !

قلتُ : لا !

قالَ : يا سلامةُ ! هَاتِ الدَّرْجَ فأَخْرجتُ ، فنظرَ فيهِ ، فإذَا ليسَ الحديثُ فيهِ .

فقالَ : صدقتَ ! يا أبا سعيدٍ ؛ فَمِنْ أينَ أُتيتُ ؟

قلتُ : ذُوكِرْتَ بِهِ وأنتَ شابٌّ ، فظننتَ أنَّكَ سمعتَهُ !!

وقالَ يحيى بنُ معينٍ [1] :

حضرتُ نعيمَ بنَ حمادٍ - بمصرَ - ، فجعلَ يقرأُ كتابًا صنَّفَهُ .

فقالَ : حدَّثنا ابنُ المباركِ ، عن ابن عونٍ ؛ وذكرَ أحاديثَ .

فقلتُ : ليسَ ذا عن ابنِ المباركِ .

فغضبَ ؛ وقالَ : تَرُدُّ عليَّ ؟!

قلتُ : إِي ! واللهِ ؛ أريدُ زَيْنَك .

فأبى أن يَرْجِعَ .

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٨٩- ٩٠) و«الكفاية» (ص٢٣١) .

فلمَّا رأيتُهُ لا يرجعُ ، قلتُ : لا ! واللهِ ؛ ما سمعتَ هَذه من ابنِ المباركِ ، ولا سَمِعها هو من ابنِ عونٍ قطُّ !!

فغضبَ ، وغضبَ من كانَ عندَهُ ، وقامَ فدخلَ ؛ فأخرجَ صحائفَ ، فجعلَ يقولُ - وهي بيدِهِ - : أينَ الذينَ يزعمونَ أنَّ يحيىٰ بنَ معينٍ ليسَ بأميرِ المؤمنينَ في الحديثِ ؟!

نَعَمْ ! يا أبا زكريا ؛ غَلِطْتُ ، وإنَّما روىٰ هذِهِ الأحاديثَ غيرُ ابنِ المباركِ ، عن ابنِ عونٍ !!

وهَذا ؛ حديثٌ من تلكَ التي أنكرهَا ابنُ معينٍ علىٰ نعيمِ بنِ حمادٍ ، بهذا الإسنادِ :

قالَ هاشمُ بن مرثدٍ الطبرانيُّ [١] :

قيلَ ليحيىٰ بنِ معينٍ - وأنَا أَسْمَعُ - : حديثٌ ؛ رواهُ : نعيمُ بنُ حمادٍ، عن ابنِ المباركِ ، عن ابنِ عونٍ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن ابنِ عمرَ ، قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « **إذَا اغْتَلَمَتْ** [٢] **آنِيَتُكُمْ ، فَأَكْسِرُوهَا بالمَاءِ** » ؟

فقالَ يحيىٰ بنُ معينٍ : قالَ لي نعيمٌ : سمعتُهُ [٣] منِ ابنِ المباركِ ؛ فقلتُ : كَذِبٌ [٤] .

فقالَ لي : اتَّقِ اللهَ !

---

(١) «تاريخه» (ص١٨-٢٠) .

(٢) أي : إذا جاوزت حدَّها الذي لا يسكر ، إلىٰ حدِّها الذي يسكر . نهاية .

(٣) في «المطبوع» : «سمعت» !

(٤) أي : خطأ .

فقلتُ : كذبٌ ، واللهِ الذي لا إلهَ إلا هُو .

فذهبَ ، ثمَّ لَقِيني بَعْدُ ، فقالَ : ما وجدتُ لهُ عِنْدي أَصْلاً ؛ فرجَعَ عنهُ !!

***

وكانَ رواةُ الحديثِ يعرفونَ شأنَ نُقَّادِه ، ويقدرُونَهُمْ قَدْرَهُمْ ، ويُنْزِلُونَهُمْ مَنْزِلَتَهُمْ ، فكانُوا يَرْجعونَ إليهمْ ويَسْألونَهُمْ عن أحوالِ أنفسِهِمْ وأحاديثِهِمْ ، وإذَا بيَّنوا لهمْ الخطأَ رجعُوا عَنْه ، ولم يحدِّثُوا بِهِ بَعْدُ .

فكلُّ راوٍ من الرُّواةِ كانَ يعلمُ أنَّ نقادَ الحديثِ وَجهابِذَتَهُ أعلمُ بحديثِه : صَحيحِهِ وسَقيمِه ، مَحْفُوظِهِ ومُنْكرِهِ ؛ وأعلمُ بحالِهِ : ثقتِهِ وضَعْفِه؛ منْ نَفْسِهِ التي بَيْنَ جَنْبَيْهِ .

قالَ ابنُ معينٍ [1] :

قالَ لي إسماعيلُ بنُ عُلَيَّةَ يومًا : كيفَ حَدِيثي ؟!

قلتُ : أنتَ مستقيمُ الحديثِ .

فقالَ لي : وكيفَ علمتمْ ذاكَ ؟!

قلتُ له : عَارَضْنَا بها أحاديثَ الناسِ ، فرأيناهَا مستقيمةً .

فقالَ : الحمدُ للهِ ، فلمَ يزَلْ يقولُ : الحمدُ للهِ ، ويَحْمدُ ربَّهُ ، حتى دَخَلَ دارَ بِشرِ بنِ معروفٍ - أو قالَ : دار أبي البَخْتريِّ - ، وأنَا مَعَهُ!!

وقالَ ابنُ أبي حاتمٍ [2] :

رأيتُ في كتابٍ ؛ كتبَهُ عبدُ الرحمنِ بنُ عمرَ الأصبهانيُّ المعروفُ

(١) «سؤالات ابن محرز» (٢/ ٣٩) .

(٢) «تقدمة الجرح والتعديل» (ص٣٣٦) .